Sana'a University Journal of Human Sciences مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 7 | Page 142 – 161 |2025 | https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

Economic life in the Arabian Peninsula during the sixth and seventh centuries AD "Trade as a model "

Hamidan Mahmoud Hamidan Naji [1,*]

[1]University of Manouba, Tunisia.

***Corresponding author:** *hmydan.naji@gmail.com*

Keywords

1. trade
2. caravans
3. markets
4. industry

Abstract:

The research problem stems from the sole economic resource in the Arabian Peninsula: trade. It defines it as one of the most important economic activities in the Arabian Peninsula, and identifies the most important seasons, markets, and goods sold there. The research attempts to answer the following question: What is the importance of trade in the Arabian Peninsula? Also, what is the importance of the strategic commercial location of the Arab countries? The research aims to answer the following main question: Did the presence of the Holy Kaaba contribute to the establishment of markets and seasons for pilgrims in and around Mecca? To achieve the study's objectives, the descriptive and analytical historical approach was used, based on collecting historical material from its original sources and employing it in formulating the various study topics with the aim of arriving at historical information. The research relied heavily on the contents of historical sources. The research was divided into two chapters. The first chapter deals with trade, covering the main and secondary trade routes and commercial centers. The second chapter addresses markets in the Arabian Peninsula, both permanent and seasonal, and the methods of commercial transactions within them.

Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 4 | No. 7 | Page 143 – 161 | 2025
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

الحياة الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية خلال القرنين (السادس والسابع) الميلاديين

" التجارة أنموذجا "

حميدان محمود حميدان ناجي [1]*،

[1]جامعة منوبة، تونس.

المؤلف: *hmydan.naji@gmail.com*

الكلمات المفتاحية

1. التجارة
2. القوافل
3. الأسواق
4. الصناعة

الملخص:

تأتي إشكالية البحث من المورد الاقتصادي الوحيد في شبه الجزيرة العربية المتمثل في التجارة والتعريف بها بوصفها أحد أهم الأنشطة الاقتصادية في الجزيرة العربية، وبيان أهم المواسم والأسواق والسلع التي تباع بها، ويحاول البحث الإجابة عن السؤال الآتي: ما هي أهمية التجارة في الجزيرة العربية؟ وأيضاً ما هي أهمية موقع بلاد العرب الاستراتيجي التجاري؟ ويهدف البحث للإجابة عن التساؤل الرئيس التالي: هل ساهم وجود الكعبة المشرفة في إقامة الأسواق والمواسم للحجاج داخل مكة وحولها؟ وفي سبيل تحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي القائم على جمع المادة التاريخية من مصادرها الأصلية وتوظيفها في صياغة مواضيع الدراسة المتنوعة بغية الوصول إلى المعلومات التاريخية وتم الاستناد بدرجة كبيرة إلى ما تضمنته المصادر التاريخية.

وتم تقسيم البحث إلى فصلين، الفصل الأول: التجارة حيث شمل الطرق التجارية الرئيسة والفرعية والمراكز التجارية، أما الفصل الثاني: فتناول الأسواق في شبه الجزيرة العربية بأنواعها الدائمة والموسمية وأساليب التعامل التجاري بها.

المقدمة:

تهتم هذه الدراسة بمعرفة شريان الحياة الاقتصادية الوحيد في شبه الجزيرة العربية (التجارة) التي كانت تمارس عن طريق القوافل التجارية من خلال الطرق التجارية الرئيسة والفرعية التي كانت تأتي من خلالها، وإقامة الأسواق الموسمية والدائمة في مكة وحولها ويثرب، كذلك شملت الدراسة النظام التجاري من حيث أنواع البيوع وأساليب التعامل التجاري في البيع والشراء والعملات المستخدمة.

وقد ساهمت بعض الحرف والمهن التي تقوم على الصناعات الغذائية والمعدنية في ازدهار الأسواق وتنوع السلع والمبيعات فيها، كذلك تنوعت الأسواق في الجزيرة العربية حسب المواسم والأيام، وكذلك تنوعت أساليب التعامل التجاري وطرق البيع في الأسواق.

أهداف البحث:

1- التعرف على الجانب التطبيقي لممارسة التجارة في شبه الجزيرة العربية.

2- تقديم صورة واضحة عن أبرز معالم الأسواق وملامح أساليب التعامل التجاري فيها.

3- دور الطرق التجارية في نشوء الأسواق المحلية والموسمية.

4- بيان أهم السلع التجارية المتبادلة بين الأسواق التجارية.

أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث في أنه يفصل الحالة الاقتصادية لشبه الجزيرة العربية المتمثلة في موردها الوحيد (التجارة)، وكذلك معرفة الصناعات والمهن المرتبطة بالتجارة في أسواق شبه الجزيرة العربية، وهي عامل مهم لتسويق وبيع المنتجات اللازمة لسكان الجزيرة العربية.

حدود الدراسة ومحدداتها:

تحددت الدراسة بالفترة التاريخية خلال القرنين السادس والسابع الميلاديين قبل ظهور الإسلام وبعده في الجزيرة العربية.

منهج البحث :

تم كتابة هذا البحث المعتمد على الكتب التاريخية والمصادر الأولية وتحليلها وعرضها بما يتوافق والمنهج التاريخي المعروف.

مشكلة الدراسة:

اعتاد الباحثون على قراءة الحياة الاقتصادية في الجزيرة العربية من باب التجارة والقوافل التجارية، ولكن رؤية الجوانب الأخرى من صناعة وزراعة مهم أيضا، وقد ساهمت القوافل التجارية في نشوء الطرق والمراكز التجارية.

خطة الدراسة:

الفصل الأول: التجارة.
تمهيد.
أولاً: الطرق التجارية الرئيسة.
الطرق الفرعية.
ثانياً: المراكز التجارية.

الفصل الثاني: الأسواق العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

أولاً: أنواع الأسواق.

ثانياً: أنواع البيوع.

ثالثاً: الصناعة.

رابعاً : أساليب التعامل التجاري.

الفصل الأول: التجارة

تمهيد:

كان العرب في شبه الجزيرة العربية مثل غيرهم من الشعوب السامية ينشطون في عالم التجارة التي اعتبروها من أشرف الحرف، وقد شملت التجارة كل أنواع البيع والشراء، وعماد هذه التجارة وسندها القوافل (علي، 1993، ج 7، ص 233) التي تعد وسيلة النقل التي مهدت لنشوء وتطور التجارة وازدهارها؛ لأنها أحد المكملات الرئيسة في العملية التجاري (الجنابي، د. ت، ص 27).

وعلى الرغم من اشتهار شبه جزيرة العرب بخيولها، إلا أن مساهمتها في نقل البضائع كانت محدودة جدا، ومع أنها استعملت هي والبغال والحمير في نقل البضائع التجارية إلا أنها لم يكن لها أثر تاريخي في نشاط وتطور تجارة القوافل، إلا أن ذلك لا يعني أنها لم تستخدم إطلاقا (الهاشمي، 1984، ص 9) فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: " وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ" (القرآن، سورة النحل، الآية رقم 8)، ولما كان نقل البضائع لمسافات طويلة عملية شاقة على الخيول والبغال، كان للجمال أثر كبير في تاريخ التجارة وطرقها وثرواتها، وكان لدورها في نقل التجارة عبر الصحاري الشاسعة التي تفصل بين المراكز التجارية أثر في ديمومة وتطور القوافل التجارية (دلو، 1989، ص 9).

وقام العرب بالتجارة منذ أقدم العصور واحتكروها منذ الألف الرابع قبل الإسلام، واعتمدت تلك التجارة على قوافل الإبل التي ضربت في أنحاء الجزيرة طولا وعرضا، فكانت الطرق البرية شرايين التجارة التي تمر عبرها إلى الجهات المختلفة وإلى شمالها المؤدي إلى الأقاليم الواقعة خارج حدود شبه الجزيرة العربية (سلامة، 1994، ص 210)، ويعتمد وجود هذه الطرق على عدد من العوامل، أهمها التكوين الطبيعي للمنطقة فقد كانت الأودية تمثل أهم المسالك في داخل الجزيرة العربية، وتشكل حلقات الوصل بين الأجزاء الساحلية والمناطق الداخلية التي تفصل بين المرتفعات (عبد الوهاب، 1979، ص 7).

أولاً: الطرق التجارية الرئيسة:

الطريق الأولى: وهي الطريق الجنوبية المتجهة شمالا تبدأ من مأرب التي تبعد حوالي ثمانين ميلاً شرقي صنعاء وتسير الطريق من مأرب إلى معين ثم نجد متجهة شمالا إلى مكة ويثرب، ثم العلا ثم إلى مدين وتيماء وأخيرا إلى تدمر وتخرج القوافل من مكة في طريقها إلى المدينة مارة بذي طوى: وهو حي الزاهر حاليا ثم بالأبواب قرب المدينة ، وتمر القوافل بمعظم المحطات الحديثة في طريق المدينة المعروفة ويسير هذا الخط في غربي الجزيرة العربية موازيا للبحر الأحمر عبر منطقة الحجاز وفي شمال الحجاز يتفرع إلى فرعين، أحدهما: باتجاه الشمال الشرقي إلى سوريا، والآخر: باتجاه الشمال الغربي إلى فلسطين

ومصر (النعيم ، 1992، ص 23)، وتمر هذه الطريق في وادي القرى المهم الذي يقع بين خيبر وتيماء، وكان يسمى قديما وادي الديدان وتمر هذه الطريق ببلاء العرب الصخرية وينقل التجار عبر هذه الطريق البضائع التي تصل من الهند والحبشة، وكذلك بضائع اليمن والحجاز، وبلاد الشام ثم يعود التجار محملين ببضائع الشام إلى اليمن حيث كانت هذه الطريق شريانا نابضا وهي من طرق تجارة الجزيرة كما أنها طريق مهمة جدا وحيوية وعامرة على طول الطريق (مهيوب، 2011، ص 338).

الطريق الثانية: وهي الطريق العرضية التي تخترق الجزيرة من البحر الأحمر غربا إلى الخليج العربي شرقاً وتمر بمكة أحيانا، ولكن الطريق عندما تصل قلب الجزيرة تتفرع إلى فرعين أيضا، فيتجه أحدهما إلى الشمال الشرقي ويتجه الآخر إلى الجنوب الشرق بمحاذاة ساحل الخليج العربي (حتّي، 1953، ص 51)، وهناك طرق عرضية تسير من الغرب باتجاه الشرق ذكرها أراتسطين الجغرافي قائلا أنها تصل بين منطقة إنتاج اللبان ومنطقة إنتاج القرفة وهناك طريق أخرى تنطلق من جنوب غرب شبه الجزيرة إلى شمالها الشرقي، وقد كانت هذه الطريق حيوية جدا لأهمية جرها، وينقل عبر هذه الطريق طيوب الجنوب الغربي الى وادي الرافدين (هاشم، 2012، ص 9).

الطرق الفرعية:

طريق ضفار شبوة: يمتد هذا الطريق من مناطق إنتاج اللبان ويتجه برا محاذيا للحافة الشمالية من المرتفعات مارا بآبار السنو وثمود، أما من الجنوب من حبروت عبر بلاد المهرة ثم وادي مسيلة إلى وادي حضرموت ومنها إلى شبوة (النعيم، 1992، ص 226).

وكانت تدمر والحضر من قبل قد وجدتا بفعل الموقع التجاري وكان لا بد لهما من الاتصال بالحضارة المجاورة، لذا فان الحجاز قد عرف التجارة أيضاً وكان له انفتاحه على الدول المعاصرة فقد كان لقريش رحلة إلى الشام و رحلة إلى اليمن (ابن هشام، 1955 ، ج 1، ص 56) ونظراً لأنهم كانوا تجار (ابن هشام، 1955، ج 1، ص 188) فإن تأمين انتظام التجارة أملى عليهم عقد اتفاقيات مع القوى السياسية المؤثرة في عصرهم فقد كان هاشم بن عبد مناف صاحب إيلاف الرحلتين وأول من سنها، وذلك أنه أخذ لهم عصماً من ملوك الشام فاتاجروا آمنين، ثم إن أخاه عبد شمس أخذ لهم عصماً من صاحب الحبشة وإليه كان متجره وأخذ لهم عبد المطلب بن عبد مناف عصماً من ملوك اليمن وأخذ لهم نوفل بن عبد مناف عصماً من ملوك العراق فألفوا الرحلتين في الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، وفي الصيف إلى الشام (البلاذري، 1959، ج 1، ص 59).

كما ظهرت دولة الأنباط التي شهدت نشاطاً تجارياً متميزاً لوقوعها على الطريق الغربي في الجزيرة بين اليمن والشام وفي القرن الثالث الميلادي ظهرت تدمر كمركز تجاري مهم، ويبدو أن طريق الصحراء الذي يقع ضمن جزيرة العرب كان نشيطاً بشكل كبير (لوفران، 1950، ص 19)، وعليه فقد اعتمد البيزنطيون على قوافل البدو التي كانت تحمل لهم البضائع من الهند والصين وفارس واليمن وأفريقية وما كانت التجارة في الحجاز لتقتصر على نشاط مكة والطائف ويثرب، بل أن ملوك الحيرة كانوا يرسلون

بضائعهم كل عام إلى عكاظ لبيعها وشراء بضائع أخرى (ابن حبيب، المحبر، ص 195- 196)، وقد ترتب على هذه الحيوية في التجارة أن ظهر كثير من الأغنياء وأصحاب الثروات وبقية الطبقات الفقيرة على حالها (الأصفهاني، 1963، ج 8، ص 83).

ويبدو أن التجارة تكمن في أنها كانت معبرة عن نمو الاقتصاد الحضري وسعيه نحو احتواء اقتصاد البدو ثم إضعافه للنظام القبلي بحيث ترتب على ذلك أن بدأ التفاوت في الثروة بين أبناء القبيلة الواحدة والقبائل القريبة أو البعيدة عن خطوط التجارة يظهر بشكل أقوى من السابق (مروة، 2002، ص 203 – 204)، وأدى هذا الوضع إلى ظهور ملامح انهيار التضامن القبلي، فالحياة في الصحراء تستدعي التضامن والنصرة وخاصة بالنسبة للأقارب ولكن الفردية التجارية تملي غير ذلك فالتجار الكبار يضعون مصالحهم فوق كل شيء ويجدون سبباً للاتحاد بأقرانهم من التجار أكثر من اتحادهم بعشائرهم (الشمري، د . ت، ص 329).

ورافق التجارة نشاط مباشر للأسواق التي أخذت تتطور حتى أصبحت في أوج نموها في القرن السابع الميلادي (الكبيسي، 1978، ص 26)، ويبدو أن حركة الأسواق مع الدين الإسلامي من الأسباب الأساسية التي وحدت نظرة العرب إلى العالم وصهر عاداتهم ومفاهيم الشرف عندهم في بودقة واحدة ومنحهم لغة شعرية مركزة تسمو على جميع اللهجات (الشمري، د . ت، ص 329).

ثانيا: المراكز التجارية:

تتميز المراكز التجارية بأنها تقع على أحد الطرق الرئيسة وعادة ما يكون محطة نهائية لعدد من الطرق الفرعية المغذية للطرق الرئيسة، وقد لا ينتهي دور المراكز التجارية على استقبال السلع التجارية وتوزيعها بل قد يصبح مركزا صناعيا لعدد من السلع يتم تصديرها بعد ذلك (دلو، 1989، ص 141)، وتشير الكثير من الروايات أن هذه الأسواق كانت محطات تجارية وبعضها أماكن مقدسة لها أصنام تعبدها القبائل وتأتي للتقرب إليها في مواسم معينة هي مواسم حجها فتحولت هذه المواسم والمحطات التجارية إلى أسواق للبيع والشراء (علي، 1993، ج 7، ص 26).

وكان رؤساء القبائل والملوك يتنافسون في السيطرة على بعض الأسواق لتصريف بضائعهم وتحصيل الضرائب، ويعكس حضور قريش لهذه الأسواق موقعها الاقتصادي والديني في نفوس العرب مما يشير إلى قوة تحالفهم مع القبائل، ويلاحظ أن الفرس كانت تسيطر على أسواق معينة كالمشقر وكانت مع أسواق أخرى تخضع لضريبة العشور (ابن حبيب، المحبر، ص 246، 265) مثل: صحار ودبا في حين كانت أسواق أخرى لا تخضع للعشور لأنها ليست أرض مملكة (ابن حبيب، المحبر، ص 266).

الحجاز: تعد الحجاز من المناطق الاستراتيجية المهمة في شبه الجزيرة العربية من الناحية الاقتصادية فقد كان يشقها شريان رئيسي من شرايين التجارة العالمية تتفرع منه شرايين تتوجه نحو الشرق والشمال الشرقي حيث كان لذلك أعظم الأثر في قيام مدن تجارية في

الحجاز تعتبر محطات تجارية واقعة على هذا الطريق البري (حسن، 2009، ج 1، ص 54) أهمها:

– **مكة** : لما كانت أرض مكة صخرية لا ماء فيها ولا زرع امتاز أهلها على غيرهم من العرب بالنشاط التجاري وقد ساعدهم على ذلك مركز مكة الجغرافي فقد أصبحت مكة منذ القرن السادس الميلادي مركزا للتجارة بين اليمن والشام والحبشة حيث كانت قوافل قريش معروفة عند العرب، لأنهم سكان مكة وحماة الكعبة التي يقدسها العرب وجابت قوافلهم هذه البلاد طولا وعرضا (دلو، 1989، ص 143)، وقد بلغ اهتمام القرشيين بالتجارة لدرجة أنهم كانوا يرحلون رحلتين في العام رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، وكان بنو مناف الأربعة يتوجهون إلى البلاد المختلفة للتجارة فكان هاشم يتوجه إلى الشام والمطلب إلى اليمن ونوفل إلى فارس (سالم ، د . ت، ص 223)، وقد امتنى الله تعالى على قريش بذلك في قوله تعالى: "إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ, الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ) "القرآن ، سورة قريش، الآيات 1 – 4).

– **الطائف:** يبدو أن أبسط صور الحياة التجارية في الطائف كانت تبادل السلع عن طريق البيع والشراء من أجل إشباع حاجات الأفراد في المدينة، غير أن نشاط أهل الطائف لم يقتصر على هذا النوع من التجارة الداخلية بل كان يصل إلى حد الاتجار مع المدن الأخرى، وكانت أشهر المدن التي تتاجر مع أهل الطائف مدينة مكة ومن أبرز أسواقها سوق عكاظ (الملاح، 2008 ، ص 276) .

– **اليمن:** هيأ هذا الموقع المهم لسكان اليمن بأن يكونوا من أوائل الذين ساهموا في إنشاء حضارة في هذه المنطقة في القرن الثامن قبل الميلاد، ولم تكن اليمن مجرد نقطة مهمة على طريق التجارة بل كانت بلدا ينتج الكثير من السلع التي كانت تعد عصب التجارة في العصور القديمة، ونتيجة لهذا شهدت بلاد اليمن نشوء العديد من الدول والتي من أهمها (سالم، د . ت ، ص 87):

شبوة: عاصمة حضرموت تقع في وادي عرما وتقوم المدينة على مناجم للملح الصخري ، وهناك من يقول أن نشأتها كمركز تجاري مرتبط بتجارة الملح وذلك في القرن الثاني قبل الميلاد، وقد تحولت المدينة إلى مركز تجاري مهم مع ازدهار الدولة الحضرمية وكانت تمر بها عدد من الطرق التجارية المتجهة نحو الشمال (الحموي، 1995 ، ج 3 ، ص 323)، وقد استطاع ملوكها في فترة قوتهم من توجيه تجارة اللبّان إليها والسيطرة عليها، حيث كانت شبوة مركزاً تجاريا مهما في جنوب الجزيرة يرتادها العديد من التجار من الدول المجاورة، أما عن دورها التجاري فقد استمرت مركزا تجاريا مهما خاصا للمواد العطرية المحلية والمستوردة حتى القرن الرابع ميلادي (النعيم، 1992 ، ص 143).

مأرب: المركز الرئيس لدولة سبأ ومن أهم المراكز التجارية على طريق البخور العالمي، تقع المدينة على ضفة وادي أدنة وتأتي أهمية مأرب لكونها عاصمة أكبر الدول الجنوبية التي تشرف على مناطق واسعة فأصبحت عاصمتها السوق التجاري الرئيسي فيها (الحموي ، 1995، ج 5 ، ص 34)، حيث تجتمع فيها منتجات هذه المناطق الزراعية والصناعية ليتم

تصديرها للخارج كما أن كونها مقرا للحكومة جعلها أيضا سوقا محليا مهما، وقد حققت هذه المدينة نظرا لدورها التجاري العالمي الشهرة وثراءً واسعا انعكس على تطور اقتصاد شبه الجزيرة العربية (الهاشمي، 1984 ، ص 121).

وتُقسم السلع المنقولة عبر الطرق البرية إلى نوعين سلع محلية وسلع مستوردة من خارج الجزيرة عن طريق أحد المراكز التجارية البرية ولم تكن هذه السلع تستورد للاستهلاك المحلي فقط بل أيضا للتجارة الخارجية تم عرض أهمها (صالح ، 1992 ، ص 41) فيما يأتي:

المواد العطرية: تأتي المواد العطرية على رأس قائمة السلع التي تاجر بها غرب شبه الجزيرة العربية في الداخل والخارج (ابن منظور، د . ت، ج 4، ص 41)، فقد كانت هذه المواد العطرية عبارة عن صموغ وعصائر أشجار تنمو طبيعيا وأهمها اللبّان والمر، واللبّان: هو صمغ أشجار الصنوبر (ابن منظور، د . ت، ج 13 ، ص 377) حيث كان ينمو في وادي الحجر في جنوب غرب حضرموت، أما المر فقد كان أكثر انتشار في الجزيرة العربية، فهو ينمو في المنطقة الممتدة من الركن الجنوبي الغربي للجزيرة حتى منطقة جيزان، وكذلك ينمو في جوف اليمن والمر :هو صمغ أحمر مائل للبني (كليب، 2011 ، ص 351).

الملح: وهو من السلع التي تاجر بها العرب محليا وخارجيا، وقد توفرت في الجزيرة العديد من مناجم الملح، ومن أشهر المناطق المنتجة له جنوب الجزيرة، حيث توجد العديد من المناجم في المنطقة الممتدة من مأرب إلى شبوة، حيث ارتبط ظهورها بتجار الملح، ويعتقد أن الطرق البرية السالفة الذكر كانت في بداية ظهورها طرق لنقل الملح (أمين، 2004، ص 2).

الذهب: يأتي الذهب على رأس قائمة السلع التي يستوردها العراقيون والعبرانيون وأهل الشام، وتاجروا أيضا في الحبر والقرفة والقرنفل وكانوا يجلبونه من الهند وما وراءها وكذا تاجروا في الكندر: وهو نوع من اللبان وكان يستخدم كعلاج وهو مستورد من الهند، كما أنه يوجد بكثرة في جنوب شبه الجزيرة العربية (أمين، 2004 ، ص 50)، وقد شملت متاجر العرب وخاصة جنوب الجزيرة العربية على السلع والبضائع التي كانوا يجلبونها من شرقي إفريقية كالتبر والعبيد والأخشاب وريش النعام والهند كالعاج والأحجار الكريمة والحرير والملبوسات والسيوف (الهاشمي، 1984 ، ص 96).

الفصل الثاني: الأسواق العربية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

استفاد العرب من موقع بلادهم الاستراتيجي التجاري حيث كانت معبراً طبيعياً للقوافل التجارية التي عدت موردا اقتصاديا مهما في حياة العرب الاقتصادية، ولما كانت التجارة من أشرف الحرف عند العرب كانت هي العامل في نشوء الأسواق (حسين، 1984، ص 134)، وكانت أسواق العرب مقسمة إلى نوعين أسواق دائمة قائمة في المدن والقرى وأسواق موسمية عامة في مواقع معلومة وأيام معلومة محددة (التليسي، 2011، ص 44).

أنواع الأسواق:

– الأسواق الدائمة في المدن: من أقدم أسواق العرب في مدنهم سوق عدن ومكة وغيرها كثير، ففي مكة أسواق كثيرة نعرف منها سوق العطارين وسوق الليل وسوق الحدادين وسوق التمر، وتوجد في الطائف أسواق لبيع منتجاتها الزراعية من كروم وعسل (الخوري، 1977، ص 147).

– **الأسواق الموسمية:** أنشأ العرب أسواقا موسمية تلبية لحاجات ضرورية ألحت عليهم فقد عقدت تلك الأسواق في مواقيت معلومة وأماكن معلومة، فعدت أسواقهم هذه مهرجانات موسمية (النعيم، 1992، ص 242)، ومن أكثرها شهرة أسواق الحجاز التي قامت حول مكة ومنها:

سوق عكاظ : اسم سوق من أسواق العرب بالقرب من مكة وموسم من مواسم الجاهلية حيث كانت قبائل العرب تجتمع فيها كل سنة فيقيمون شهْراً يتبايعون ويتفاخرون ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر (ابن منظور، د . ت ، ج 7 ، ص 448) (البكري، 1982، ج 3 ، ص 959)، وهو نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال حيث تقوم السوق في مكان يعرف بالأثيداء فيه مياه ونخل وهو مستو لا علم فيه ولا جبل إلا ما كان من الأنصاب التي كانت لأهل الجاهلية وبها من دماء البدن كالأرحام العظام (صفي الدين الحنبلي، 1412هـ ، ج 2 ، ص 953) وكانوا يطوفون حول صخور فيها وربما كان ذلك شعيرة من شعائرهم فقد ذكروا أنهم كانوا يحجون إليها، وكانت سوق عكاظ تعقد في الفترة من أول ذي القعدة إلى العشرين منه غير أنها لم تكن تخلو إلا في ذي الحجة (البكري، 1982، ج 3، ص 959) (ملحس، 1950، ص 64) حيث كانت قريش تنزلها وهوازن وغطفان وخزاعة والأحابيش وهم الحارث بن عبد مناة وعضل والمصطلق وطوائف من أفناء العرب ينزلونها في ذي القعدة فلا يبرحون حتى يروا هلال ذي الحجة (المرزوقي، 1417هـ، ص 385)، بحيث كان يُحمل إليها من كل بلد تجارته وصناعته كما يحمل إليها أدبه وإليها يجلب الخمر من هجر العراق وغزة وبصرى، والسمن من البوادي، ويرد إليها من اليمن البرود الموشّاة والأدم وفيها الغالية وأنواع الطيب وأدوات السلاح، وفيها من زيوت الشام وزبيبها وسلاحها ما اعتادت قريش أن تحمله في قفولها إلى مكة (الأفغاني، 1993، ص 123).

وتصل بضاعة بلاد فارس إلى سوق عكاظ حيث كان ملك الحيرة النعمان ابن المنذر يبعث إلى سوق عكاظ كل عام لطيمة وهي "العير التي تحمل المِسْك" (ابن منظور، د . ت، ج 12، ص 543) في جوار رجل من أشراف العرب يجيرها له ويحميها من كل معتد حتى تصل سالمة إلى عكاظ فتباع هناك ويُشْترى بثمنها ما يحتاج إليه من أدم" جلود" الطائف وسائر المتاع من حرير وعصب مسيّر، وبيعت فيها حلة ذي يزن فاشتراها حكيم بن حزام ليهديها لرسول الله (الألوسي، 1896، ج 2، ص 163)، بل إن عكاظ نفسها مشهورة بما حُمِل إليها من جلود فبيع به حتى قيل : "أديم عكاظي" نسبة إليها (ابن منظور، د . ت ، ج 7 ، ص 448)، كذلك وُجِد في سوق عكاظ بضاعة ليست في أسواق العرب حيث كان الملك من ملوك اليمن يبعث بالسيف الجيّد والحلة الحسنة

والمركوب الفاره فيقف بها وينادي عليه : " ليأخذه أعز العرب " يريد بذلك معرفة الشريف والسيد فيأمره بالوفادة عليه وبالحسن صلته وجائزته (المرزوقي، 1417هـ، ص 385)، وقد بعث كسرى في ذلك الزمان بالسيف القاطع والفرس الرائع والحلة الفاخرة فتعرض في تلك السوق وينادي مناديه: "إن هذا بعثه الملك إلى سيد العرب" فلا يأخذه إلا من أذعنت له العرب جميعاً بالسؤدد فكان آخر من أخذه بعكاظ حرب بن أمية، ويبدو أن كسرى يريد بذلك معرفة ساداتهم ليعتمد عليهم في أمور العرب فيكونوا عوناً على إعزاز ملكه وحمايته من العرب ، حيث إن سوق عكاظ قُسِم إلى أربعة أيام "يوم شمطة، ويوم العبلاء، ويوم شرب، ويوم الحريرة" وهي كلها من عكاظ (البكري، 1982 ، ج 3 ، ص 961).

سوق مجنة: سوق للعرب كانت في الجاهلية قيل: بمر الظهران، قرب جبل يقال له الأصفر (صفي الدين الحنبلي، 1412هـ، ج 3 ، ص 1231)، يقع على نحو عشرة أميال شمالي مكة وفيها النخيل والماء وكان يأتي إليها كثير من قبائل العرب وكانت الحركة التجارية تنتقل إليه بعد عكاظ ففي العشرين من ذي القعدة يبدأ تقاطع التجار حيث تنشط حركة البيع والشراء لمدة عشرة أيام (البكري، 1982، ج 3، ص 959) (صفي الدين الحنبلي، 1412هـ، ج 3، ص 1231).

سوق ذي المجاز: عرفت بهذا الاسم لإجازة الحاج منها وكانت تقام في أوائل ذي الحجة وتظل منعقدة حتى يوم التروية، ويأتيهم حينئذ حجاج العرب ورؤوسهم ممّن أراد الحج من لم يكن شهد الأسواق (المرزوقي، 1417هـ، ص 385)، فيحمل الحجاج الماء من هذا السوق إلى عرفة، وكان ذو المجاز يعد آخر الأسواق قبل أداء مناسك الحج (ملحس، 1950، ص 68).

سوق حباشة: سوق للعرب معروفة بناحية مكة وهي أكبر أسواق تهامة كانت تقوم ثمانية أيام في السنة (البكري، 1982، ج 2 ، ص 418) (صفي الدين الحنبلي، 1412هـ، ج 1، ص 375) وموعد انعقادها شهر رجب (الكبيسي، 1979، ص 142).

ولم يقتصر إقامة الأسواق على مكة وما حولها بل كانت تعقد عدة أسواق في يثرب حيث شهدت حركة تجارية نشيطة بين أهلها وبين جيرانها من البادية فضلا عن المعاملات التجارية الخارجية وأهم أسواق يثرب كانت:

سوق بني قينقاع: سوق بالمدينة حيث كانت تضم كثيراً من اليهود (صفي الدين الحنبلي، 1412هـ، ج 3، ص 1140) كانت تقام عند جسر وادي بطحان وكان سوقا كبيرا يكثر فيه الصياح وتسمع منه ضجة البيع والشراء والتعامل (النعيم، 1992، ص 240).

سوق دومة الجندل: تعد أول أسواق العرب قياما حيث يوافيها العرب من أوب يقوم في أوائل شهر ربيع الأول ويستمر حتى نهاية الشهر ثم يفترقون منها إلى مثلها من قابل (المرزوقي، 1417هـ، ص 382) وهي من أعمال المدينة حصن على سبعة مراحل من دمشق وهي قرب جبل طيء (صفي الدين الحنبلي، 1412هـ، ج 2، ص 542)، وكانت سوق موسمية يقصدها أصحاب القبائل الذاهبون من جزيرة العرب

إلى العراق وإلى بلاد الشام وبالعكس، وكان الذي يشرف على هذه السوق سادات العرب من كليب أو من غسان (الأفغاني، 1993، ص 98)، حيث كان مُلْكُها بين أكيدر العبادي وبين قنافة الكلبي بحيث كانت غلبة الملكين عليها أن يتحاجا فأيُّهما غلب صاحبه بما يلقي عليه تركه، ولم يبع فيها أحد من الشام ولا أهل العراق إلّا بإذنه، ولم يشتر فيها ولم يبع حتى يبيع الملك كل شيء يريد بيعه (المرزوقي، 1417هـ، ص 382)، حيث كانت مبايعة العرب بها بإلقاء الحجارة وذلك أنهم كانوا يجتمع النّفر منهم على السّلعة يساومون بها صاحبها فأيّهم رضي ألقى حجرة، أو يتفق في السلعة الرّهط فلا يجدون بدّا من أن يشتركوا وهم كارهون وربما ألقوا الحجارة جميعاً فيوكسون صاحب السلعة إذا تظاهروا عليه (المرزوقي، 1417هـ، ص 383) (الأفغاني، 1993، ص 98).

سوق هجر: كان وادي الأسواق ينتقلون إليه بعد سوق دومة الجندل وهو سوق في أرض البحرين (البكري، 1982، ج 4، ص 1346) عامة وهي اليمن وعمان، وتعقد سوق هجر طوال شهر ربيع الآخر وكان الذي يتولى تعشير التجارة بها المنذر بن ساوي وهي بن ساوي، وهي أكثر بلدان العرب تمورا وأطيبها وقد عرف رواج تجار تهامه حتى ضرب المثل فقالوا : " كمصبغ تمر هجر" (حمور، 1981 ، ص 20) (الأفغاني، 1993 ، ص 157).

سوق المشقّر: سوق بالبحرين وهو قريب من سوق هجر (البكري، 1982، ج 4 ، ص 1232) وهو سوق موسمي يبدأ في أول يوم من جمادى الآخرة إلى آخر الشهر، يوافي بها أهل فارس وكان ينزل إليها جميع أحياء العرب وكان بيعهم في هذه السوق بالملامسة والإيماء بحيث يومئ بعضهم إلى بعض فيتبايعون ولا يتكلّمون حتى يتراضوا، بحيث يقصد هذه السوق الأعراب الساكنون في المناطق العربية الشرقية وكذلك تجار بلاد فارس وكانت رئاسته تحت إشراف بني تميم وكانت ملوك فارس تستعملهم عليها (المرزوقي، 1417هـ، ص 383) (شحادة، 1989 ، ص 301).

سوق عُمان: هي كورة عربية في جنوب الخليج العربي تمتد على سواحل البحر العربي وتشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع وبها فواكه جروميّة كالموز والرمان والنبق (الإصطخري، د . ت ، ص 27)، وكانت العرب تقصد هذه السوق إذا انتهت من سوق هجر فترحل إلى عمان وتقيم سوقها حتى آخر جمادى الأولى وذلك لتوسطها بين فارس والهند والحبشة بحيث تجتمع فيها بضائع هذه الممالك الثلاث وكانت جمالها تحمل (الوَرْس) من اليمن إلى عمان حيث تعالج الأشياء التي يراد صبغها بالصفرة (الأفغاني، 1993، ص 113) .

سوق صحار: بلد من أعمر بلاد العرب وأغناها وأطفحها بالمتاجر، وهي قصبة عُمان على البحر وبها متاجر البحر وقصد المراكب وهي أعمر مدينة بِعُمان وأكثرها مالاً على شاطئ بحر العرب وبلغت حدود أعمالها ثلاثمائة فرسخ (الإصطخري، د . ت ، ص 27) بحيث تقيم العرب السوق العامة في صحار بعد انفضاض سوق حباشة (الأفغاني، 1993، ص 117) أول يوم من رجب في غير خفارة فيقدمونها لعشرين يوماً تمضي من رجب، فيوافيهم بها من لم يشهد ما قبلها من الأسواق، فينشرون من بزّها

وبياعاتها أو يبيعون بها خمساً فكان الجلندي يعشرهم فيها بحيث كان بيعهم فيها بإلقاء الحجارة (المرزوقي، 1417هـ، ص 383 – 384) (ابن حبيب، د . ت ، ص 265).

سوق الشحر: يطلق اسم الشِحْر على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب بين عدن وعُمان (صفي الدين الحنبلي، 1412هـ، ج 2 ، ص 785) (ابن منظور، د . ت، ج 4 ، ص 398)، والشِحْر: مأخوذ من مِشْحر الأرض وهو مسبخ الأرض ومنابت الحموض وتشتمل على بلاد وأودية وقرى، وليس فيها نخيل ولا زرع وبلادهم بوادٍ نائية وإنما أموالهم الإبل واللّبان الذي يحمل إلى الآفاق من هناك (الإصطخري، د . ت ، ص 27)، ويبدو أن اختلاط أهلها بالنازلة من الحبشة والهند وفارس وغيرهم من التجار مع ما في ألسنتهم من الفروق بينه وبين لغة الحجاز جعل أهلها غير فصحاء (الأفغاني، 1993، ص 118)، وتقوم هذه السوق في النصف من شعبان والبضاعة الرائجة فيها البز والأدم والكندر والمر والصبر والذُخْن، ولم يكن بها عشور لأنها ليست بأرض مملكة حيث كان جميع من يختلف إليها من العرب بتجارة يتخفّر ببني يثرب، ويبيعهم بها بإلقاء الحجارة (المرزوقي، 1417هـ، ص 384)، وقد اشتهرت منذ القدم بعنبرها الذي لا نظير له لأنه يوجد في سواحله (الثعالبي، 1965، ص 4) (صفي الدين الحنبلي، 1412هـ ، ج 2 ، ص 785).

سوق عدن أبين: هي مرفأ مراكب الهند والحجاز والحبشة على ساحل بحر اليمن حيث كان التجار يجتمعون (صفي الدين الحنبلي، 1412هـ ، ج 2 ، ص 923) وينتقلون إليه بعد انتهاء سوى الشحر، وكانت تعقد في أواخر شهر شعبان والعشر الأوائل من شهر رمضان وأهم تجارات هذه السوق الطيب بأنواعه وإن الطيب الذي يستعمله سائر الناس كان يتخذ بها وصار لأهلها بصنعه مهارة ولم يكن أحد يحسن صنعه من غير العرب (المرزوقي، 1417هـ، ص 384)، وقد كانت هذه السوق تتميز بتجارة الحبشة فضلا عن الاتجار في المنتجات الإقليمية من البرد والأدم (علي، 1993 ، ج 7 ، ص 249) .

سوق صنعاء: كانت تعقد بعد سوق عدن حيث يرتحل الناس إلى صنعاء فيأتونها بالقطن والزعفران والأصباغ وأشباهها مما ينفق بها ويشترون بها ما يريدون من البز والحديد وكانت تقوم في النصف من شهر رمضان إلى آخره (المرزوقي، 1417هـ ، ص 384)، وكذلك كانت سوق كبيرة يباع فيها البرد والأدم والرقيق فضلا عن العاج والتبر وغيرها من السلع من خارج الجزيرة (سلامة، 1994، ص 232).

سوق حضرموت: تقوم السوق في رابية بحضرموت فتعرف أيضاً بسوق الرابية من منتصف ذي القعدة حتى آخره وربما قامت هي وعكاظ في يوم واحد، فكان بعض الناس يأخذ إلى عكاظ وبعضهم يتوجه إلى رابية حضرموت وهذه السوق خاصة بمن حولها ولكن كثيراً ما يأتيها الناس من بعيد، ولقريش قوافل إلى هذه السوق ترسلها في تجارتها، وكثير من العرب يجوزها إلى غيرها ولا يحضرها (المرزوقي، 1417هـ ، ص 385) (الأفغاني، 1993 ، ص 122)، أما الرابية فلم يكن يصل إليها أحد إلا بخفارة لأنها لم تكن أرض مملكة فكانت قريش تتخفر ببني آكل المرار من كندة وسائر الناس يتخفرون بآل مسروق ابن وائل

الحضرمي فكانت مكرمة لأهل البيتين وكان يأتي إليها بعض الناس وبعضهم إلى عكاظ (المرزوقي، 1417هـ ، ص 385) .

أنواع البيوع

يلاحظ أن العرب قبل الإسلام قد اتبعوا أنواعا من البيع وأن معظمها شبيه بالمقامرة التي بطلت في الإسلام وهي من أقدم وسائل البيع والشراء حيث تقوم على عملية التبادل التجاري وذلك بالحصول على سلعة مقابل سلعة، وهي أساس التعامل بين المجتمعات البدوية والحضارية (سلامة، 1994، ص 242)، ويبدو أن البيع والشراء كانا يتمان بأن يضع أحد المتبايعين يمينه في يمين الآخر، فإذا قال البائع: بعت، وقال الشاري: اشتريت، ترك كل واحد يد صاحبه وانتهى الأمر إلّا أن العرب فيما بعد عرفوا أنماطا خاصة من البيع ومن أهم هذه البيوع (متز، 1967 ، ص 389):

بيع المعاومة: أو ما يعرف ببيع السنين وهو أن يبيع ثمر الشجرة عامين أو ثلاثة أو أكثر، وقد أبطله الإسلام لأنه بيع مجهول، وغير مقدور على تسليمه وغير مملوك.

بيع المزابنة: وهو بيع الرطب وهو على رؤوس النخل بالتمر كيلا، وكذا كل تمر بيع على شجرة بتمر كيلا، وسمي هذا البيع مزابنة لأن أحد المتبايعين إذا ندم زبن صاحبه عما عقد عليه، وقد نهى الإسلام عنه لما فيه من غرر (ابن حبيب، د . ت ، ص 265).

بيع المحاقلة: وهي في الزرع على نحو المزابنة في التمر فيباع الزرع القائم بالحب كيلا، وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عنه (الأفغاني، 1993، ص 26).

بيع حبل الحبلة: كان بيعا يتابعه أهل الجاهلية، فكان الرجل منهم يبتاع الجزور إلى أن تنتج الناقة، وأحيانا إلى أن تنتج التي في بطنها فإذا أنتجت حملها فالحبل يراد به ما في بطن النوق من الحمل (سلامة، 1994، ص 239).

بيع التصرية: كان من عادة بعض العرب إذا أراد بيع الشاة أو الناقة، فإذا كان فيها عرضا للبيع يظن المشتري أن كثرة لبنها عادة مستمرة لها فلا يلبث أن يتبين خطأه بعد شرائها (الأفغاني، 1993، ص 26)، والتصرية: هي الجمع، يقال صرى الماء أي جمعه.

بيع الناجز: وهو البيع العام المعروف لجميع الناس بادين وحاضرين، وذلك إن كانت المبادلة يدا بيد وقالوا: "بيع السوق ناجزاً بناجز أي حاضراً بحاضر.

بيع الجس: نص عليه محمد بن حبيب في كتابه المحبر فقال في الكلام عن سوق صنعاء: "وكان بيعهم بها الجس جس الأيدي" ولعله بيع من الملامسة المتقدم (ابن حبيب، د. ت، ص 266) (الأفغاني، 1993، ص 28).

الصناعة:

قامت في يثرب بعض الصناعات التي تعتمد على الإنتاج الزراعي مثل: صناعة الخمور والمكاتل والقفف التي تعتمد جميعها على زراعة النخيل، كما قامت فيها التجارة والصناعات المعدنية مثل: صناعة الأسلحة والدروع والمصوغات كالحلي وأدوات الزينة والتحف، حيث احترف يهود بني قينقاع هاتين الصناعتين وقد

غنم المسلمون كثيراً من الدروع والسيوف والأقواس عند إجلائهم يهود بني قينقاع عن المدينة كما وجدوا في الحصن آلة للصياغة (الشمري، د . ت ، ص 331).

واشتهرت مكة بكونها عاصمة العرب التجارية ومركزهم المالي الرئيس وأن أهلها احترفوا التجارة لأنها في واد غير ذي زرع قال تعالى:"رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ" (القرآن، سورة إبراهيم، آية رقم 37) لكنها عرفت أيضا الصناعات المختلفة التي اشتغل فيها أناس من أشراف مكة، ومن الصناعات التي قامت في مكة صناعة الأسلحة من رماح وسكاكين وسيوف ودروع ونبال وصناعة الفخار من قدور وجفان وأباريق وصناعة الأسِرّة والأرائك كذلك صناعات البزازة والخياطة والجزارة والخمارة والنخاسة ومعالجة الخيل والإبل" طب الحيوانات" والحجامة (علي، 1993، ج 4، ص 126).

وعرفت الطائف أيضاً بصناعات التجارة والبناء والحدادة وامتلك سكانها مهارة في الأمور العسكرية بما في ذلك صناعة العرادات والمجانيق والدبابات والضبور وأوتاد الحديد المستخدمة في الحرب، وفي يثرب قامت صناعات عديدة خاصة تلك التي تعتمد على الإنتاج الزراعي كصناعة الخمور من التمور والمكاتل والقفف من النخيل والنجارة من شجر الطرفاء والأثل (الثعالبي، 1965 ، ص 4) وعرفت مناطق أخرى بصناعات اقترنت باسمها كالشام ومشارفها التي اشتهرت بالزيت والزبيب والخمر وكهجر والبحرين حيث التمر الجيد المنقطع النظير كما اشتهر استخراج اللؤلؤ في عمان والبحرين ومناجم الملح في بعض مناطق اليمن كملح مأرب (الشمري، د . ت، ص 332).

واشتهرت اليمن صعدة بصناعة الجلود كما ازدهرت اليمن أيضا بصناعة النسيج والثياب كالبرود والأردية وقد ظلت اليمن محتفظة بمكانتها كأكبر مصدر للبرود الغالية حتى القرن الرابع الهجري وفي صنعاء برزت صناعة الخرز والفصوص من العقيق والجزع والذهب، كما اشتهرت بعض مناطق حميّر بصناعة الأسلحة وتنتسب الرماح الردينية الى ردينه من ذي يزن (علي، 1993، ج 7 ، ص 589).

ومن أهم هذه الصناعات التي عرفتها مكة صناعة الخز وهي نساجة تنسج من صوف وابريسم ، وبهذا نجد أن أهل مكة حاولوا استغلال صوف الضأن التي يمتلكونها فنسجوا منها ثياب الخز الموشاة بالحرير (ابن منظور، د . ت ، ج 5 ، ص 345) (الشمري، د . ت ، ص 333) ولم تكن صناعة النسيج مقتصرة على الرجال فقط في مكة، بل امتهنتها النساء (الشريف، 1965، ص 223)، وهي حرفة عرفها المجتمع العربي قبل أنها من خصوصيات المرأة.

وقد استغل أهل مكة الجبال المحيطة بها فاقتلعوا حجارها وقاموا بقطعها وتسويتها ونحتها فصنعوا منها البرم حيث كان رجال من أهل مكة يبيعونها في الأسواق ومنهم أمية بن خلف الجمحي (ابن قتيبة، 1992، ص 576) (الشمري، د . ت، ص 333)، ويبدو أن النساء شاركن الرجال في بيع البرم حيث كان أهل مكة ينحتون الأقداح وممن كان يعمل أبو رافع مولى العباس بن عبد المطلب، ومن الصناعات

التي ظهرت في مكة صناعة الأسلحة ولا سيما السيوف وأعمال الحدادة حيث كان العاص بن هشام المخزومي قينا يعمل الحديد (الأصفهاني، 1963، ج 3، ص 1157) والسهام العربية وممن كان يعمل بها سعد بن أبي وقاص.

ويبدو أن أهل مكة كانوا يستوردونها ثم يصنعونها ويعملونها سهاماً حيث أشارت بعض المصادر إلى أن أهل مكة كانوا يبرون النبال دون أن تشير إلى قطعها وصناعة النبل بمكة صناعة قديمة منذ عهد إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام) الذي بري النبل وأصلحها (الأزرقي، 1983، ج 1 ، ص 59).

ومن الصناعات التي عرفت بمكة خياطة الثياب خاصة وأن بعض تجار مكة كانوا يستوردون البز من اليمن، فقد روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر سوق حباشة قبل البعثة فاشترى منه بزاً من بز الجند وجلبه إلى مكة وباعه بأسواقه (ابن بكار، 2010 ، ج 1 ، ص 371)، وكانت يثرب أظهر من مكة في النشاط الصناعي إذ كانت تقوم بها صناعات متعددة ومختلفة أهمها: تلك الصناعات التي تعتمد على الإنتاج الزراعي، ويأتي في مقدمة الصناعات التي كانت تعتمد على الإنتاج الزراعي في يثرب صناعة الخمور، ولكن كان أغلبها بأيدي اليهود لاسيما بنو قينقاع إذ كانوا يملكون سوق يسمى" سوق قينقاع" (ولفنسون، 1979 ، ص 94)، ويبدو أن لوجود اليهود في يثرب أثراً كبيراً في صناعة الخمور وإتقانها, حيث اشتهرت يثرب بجرار أطلق عليها اسم المزفت والحنتمة والدباء والنقير كانوا ينتبذون فيها الخمور فكان النبيذ يغلي فيها سريعاً ويسكر.

ومن الصناعات المهمة الأخرى التي تعتمد على الإنتاج الزراعي صناعة القفاف حيث كان من أهل يثرب من يخوص سعف النخيل ويصنع منه أشكالاً متعددة من القفف فمنها عملوا الزبيل – الزنبيل – الذي كانت المرأة تجعل فيه قطنها، وصنع أهل يثرب من الخوص المكاتل وكانت تستعمل لحمل التمر والعنب وتستعمل في نقل التراب (الشريف، 1965، 376).

وتعد صناعة الخوص من الصناعات المهمة والمربحة في يثرب، وقد كان سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قد تعلم صنع الخوص من مواليه في يثرب قبل الإسلام, واستمر يعمل بها بعد إسلامه (ابن عبد البر، 1992، ج 2 ، ص 635)، فضلاً عن أن أهل يثرب فقد كانوا يفتلون الحبال من الصوف والليف وكلاهما يتصل بلوازم المجتمع الزراعي؛ فالصوف يشير إلى تربية الأغنام, والليف يشير إلى النخيل وبساتين التمر (الشمري، د . ت ، ص 334).

أساليب التعامل التجاري:

كانت المقايضة أهم أساليب التجارة في العصر الجاهلي ومع هذا فقد عرف العرب النقود قبل الإسلام بعهد طويل (الأفغاني، 1993 ، ص 27) حيث كانت النقود المتداولة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام الدراهم والدنانير، فقد كانت الدنانير البيزنطية الذهبية والدراهم الساسانية الفضية (المقريزي، 1967، ص 3 – 5) تأتي مع رجال القوافل التجارية من سوريا والعراق، حيث ظل التعامل بها حتى ظهور الإسلام وقيام الدولة الإسلامية إلى أن تمّ تعريبها على يد الخليفة عبد الملك بن مروان " 65 – 86هـ/ 684 – 705م" (دروزة، 1964، ص 87)، فضلاً عن العملة

البيزنطية والساسانية وكذلك تعاملوا بالمسكوكات الفضية اليمنية (عبد الرازق، د . ت ، ص 357)، كما تعاملوا بالدانق ونقود أهل اليمن وأهل الحبشة وكذلك بالسكة الحميرية (علي، 1993 ، ج 7 ، ص 495) وكانت عندهم كذلك نقود نحاسية منها الحبة والدانق (الأفغاني، 1993 ، ص 27).

أما عن المكاييل والأوزان فقد عرف أهل مكة بالموازين وأهل يثرب بالمكاييل لتنظيم معاملاتهم التجارية سواء أكانت داخلية أم خارجية (الكتاني، 1960، ج 2 ، ص 50)، ويرجع ذلك إلى طبيعة يثرب الزراعية إذ عرفت بزراعة عدد من المحاصيل الزراعية التي تتطلب استعمال المكاييل على عكس مكة إذ شاع فيها استعمال الموازين (الشريف، 1965 ، ص 397)، وكانت المكاييل أنواعاً ووحدتها (المُد) ، حيث روي أن المد: هو أربع حفنات بحفنة الرجل الأوسط (الشريف، 1965، ص 397) كما ذكر يساوي ربع صاع وقدره أبو حنيفة بتسع لرطلين بغداديين، وفي قول أبي يوسف" 75 . 1 " رطل (هنتس، 1970 ، ص 74).

والصاع وحدة أخرى من وحدات المكاييل ويقدر بأربعة أمداد وهو خمسة أرطال حيث كان يستعمل في بيع التمر والحبوب (عبد الرازق، د . ت، ص 357)، والوسق أداة أخرى اتخذها الحجاز في بيع المواد الغذائية ولا سيما التمر والشعير (الشريف، 1965 ، ص 382) حيث كان بالمدينة مائة وخمسين ألف وسق ويُحصد مائة ألف وسق حنطة (الكتاني، 1960، ج 2، ص 50)، والوَسْقُ: مكيلة معلومة وحِمْل بعير وهو ستون صاعاً بصاع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو خمسة أرطال وثلث (ابن منظور، د . ت، مادة وسق، ج 10، ص 378) (المعجم الوسيط، مادة وسق، ج 2، ص 1032)، وهو ثلاثمائة وعشرون رطلاً عند أهل الحجاز، وأربعمائة وثمانون رطلاً عند أهل العراق على اختلافهم في مقدار الصاع والمُدّ (ابن منظور، د . ت، مادة وسق، ج 10 ، ص 379) (الشريف، 1965 ، ص 397).

النتائج:

– تميزت ظاهرة الأسواق التجارية من خلال تقديسهم للأشهر الحرم وانصرافهم في التجارة أعطى قوة لتلك الأسواق؛ لأن رؤساء القبائل والملوك كانوا يعتنون بها ويرسلون ممثليهم لعقد الصفقات التجارية.

– الصفة الغالبة على شهرة مكة التجارية جاء من خلال عدم الاستئثار بالتجارة والسماح للقبائل الأخرى بمزاولتها على أرض، فضلاً عن إقامة علاقات تجارية مع الجوار.

– تاجر العرب بالعديد من المنتوجات التي كانت تنتج في بلادهم وكذلك بمنتجات كانوا يجلبونها من البلاد المجاورة حيث عادت عليهم بثروة كبيرة.

– أقام العرب علاقات واسعة مع دول العالم حيث كانت الجزيرة العربية طريقا تجاريا بين عالم الشرق والغرب ومعبراً طبيعياً للقوافل التجارية التي عدت مورداً اقتصادياً مهماً في حياة العرب الاقتصادية.

– كان رؤساء القبائل والملوك يتنافسون في السيطرة على بعض الأسواق لتصريف بضائعهم وتحصيل الضرائب، ويعكس حضور قريش لهذه الاسواق موقعها

الاقتصادي والديني في نفوس العرب مما يشير إلى قوة تحالفهم مع القبائل.

– لعبة الصناعة دوراً نهماً في ازدهار الحياة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام، فلقد توفرت لدى السكان أسباب قيام صناعات متنوعة وذلك لتوفر المواد الأولية الزراعية والحيوانية فانتشرت الصناعة في معظم مناطق الجزيرة العربية.

– كانت النقود المتداولة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام الدراهم الساسانية والدنانير البيزنطية المنتشرة في تلك الفترة، أما المكاييل والأوزان فقد عرف أهل مكة بالموازين وأهل يثرب بالمكاييل، وكانت المكاييل أنواعاً ووحدتها المُد والصاع والوسق.

– توفرت لدى السكان أسباب قيام صناعات متنوعة وذلك لتوفر المواد الأولية الزراعية والحيوانية فانتشرت الصناعة في معظم مناطق الجزيرة العربية حيث مارست القبائل العربية الصناعة ولا سيما في المدن، مثل: مكة ويثرب التي استطاعت من خلال تعاملها مع الدول المتحضرة ذات النظم والمعاملات الاقتصادية المتعارف عليها.

– غدت حركة التجارة العقل العربي وجعلته ينفتح على تجارب الأمم المجاورة ويتفاعل مع معطياتها الحضارية.

التوصيات:

– ضرورة إبراز الشخصيات التجارية في شبه الجزيرة العربية التي كان لها دور رئيسي في القوافل التجارية وممارسة التجارة في مواسم الحج.

– إيلاء الجوانب التي فيها قصور كالجوانب الاقتصادية الأخرى من زراعة وصناعة بالمزيد من البحوث والدراسات والندوات والمؤتمرات.

– ربط برامج التعليم ومناهج البحث العلمي بالبحث لما في ذلك اكتشاف معلومات جديدة.

– إبراز الأحداث والوقائع التاريخية لهذه الفترة التاريخية وأثرها على حركة التجارة في الجزيرة العربية.

– ضرورة الاهتمام بالشخصيات التاريخية، مثل: تجار قريش ودورها في تجارة مكة في مواسم الحج وغيرها كسوق عكاظ.

قائمة المصادر والمراجع:

[1] الأزرقي، أبو الوليد محمد عبد الله بن أحمد، (ت 250هـ/ 864 م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، 2 ج ، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت ، 1983 م.

[2] الإصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، (ت 346هـ/ 958م)، المسالك والممالك، الناشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

[3] الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين،

[4] (ت 356هـ/ 976 م)، كتاب الأغاني، 24 ج، تحقيق: عبد الكريم العزباوي / وعبد العزيز مطر، إشراف: محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1963 م.

[5] الأفغاني، سعيد، أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة، 1413هـ/ 1993م.

[6] الألوسي، محمود شكري البغدادي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، 3 ج ، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجت الأثري ، منشورات أمين دمج ودار الشرق العربي، بيروت، ط 1، 1896م.

[7] أمين، رياض مصطفى أحمد ، النشاط الاقتصادي لليهود بالحجاز في الجاهلية وفي عصر الرسول ص، مجلة الجامعة الإسلامية" سلسلة الدراسات الإنسانية، ع 12 ،2 يونيو 2004 م.

[8] برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام "التاريخ الاقتصادي الاجتماعي الثقافي السياسي"، ط 1 ، دار الفارابي، بيروت، لبنان ، 1989 م.

[9] ابن بكار، أبو عبد الله الزبير بن بكار القرشي،

[10] (ت 256هـ/ 870 م)، جمهرة نسب قريش وأخبارها ، 2 ج، تحقيق: عباس هاني الجراخ ، دار الكتب العلمية، عمان ، 2010 م.

[11] 9 – البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي، (ت 487هـ/ 1094م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، 4 ج ، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط، الناشر: عالم الكتب، بيروت ، ط 3 ، 1403هـ.

[12]البلاذري، أبو الحسن أحمد ابن يحيى، ت

[13](279هـ/ 839 م)، أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد عبد الله، 1959م.

[14] التليسي، بشير رمضان، جمال هاشم الذويب ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط 2 ، دار المدار الإسلامي، طرابلس،2011 م.

[15] الثعالبي، أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، (ت 429هـ/ 1038م)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار المعارف، القاهرة، 1965م.

[16] الجواليقي، أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد، ت 540هـ، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد شاكر، طبعة الأوفست، طهران ، 1966م.

[17] جورج لوفران، تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث ، ترجمة: هاشم الحسيني، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1950 م.

[18] ابن الجوزي، مثير العزم الساكن في فضائل البقاع والأماكن، مخطوطة بدار الكتب الظاهرية، " أدب 46 ، الكراس الخامس عشر.

[19] ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب، ت

[20] (245هـ/ 860 م) ، المحبر، تحقيق: ايلزه ليختن، المكتب التجاري، بيروت.

[21] حتى، فليب خوري، تاريخ العرب، نقله إلى اللغة العربية محمد مبروك نافع، ط 2، بيروت، 1953 م.

[22] حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي الديني الثقافي، ج 1 ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1430هـ/ 2009 م.

[23] حسين، الحاج حسين، حضارة العرب في عصر الجاهلية، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، بيروت ،1984 م.

[24] حمور، عرفان محمد، أسواق العرب، ط 2 ، دار الشورى ، بيروت، 1981 م.

[25] الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت 626هـ/ 1229م)، معجم البلدان، 7 ج ، دار صادر، بيروت ، ط 2 ، 1995م.

[26] خربوطلي، شكران، الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة قبل وأثر الهجرة عليها، مجلة دراسات تاريخية، مجلد 17 ، عدد 55 / 56 ، (ص 35 – 50)، جامعة دمشق، سوريا.

[27] الخوري، بندلي صليبا، دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب، دار الطليعة، بيروت،1977 م.

[28] دروزه، عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة: صور مقتبسة من القرآن الكريم ودراسات وتحليلات قرآنية، دار اليقظة العربية ، بيروت، ط 2 ، 1964م.

[29] سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية " تاريخ العرب منذ عصر الجاهلية حتى

سقوط الدولة الأموية "، ط 1 ، دار النهضة العربية، بيروت ، لبنان.

[30] سالم، السيد عبد العزيز، دراسات في تاريخ العرب " تاريخ العرب قبل الإسلام "، ط 1 ، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية.

[31] سلامة، عواطف أديب، قريش قبل الإسلام دورها السياسي والاقتصادي والديني، ط 1 ، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1414هـ/ 1994م.

[32] الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، 1965م.

[33] الشمري، ظاهر، لمحة عن الأحوال الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام ، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مجلد 4 ، عدد 2 ، (ص 319 – 341).

[34] صالح، عبد العزيز، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، طبعة مزيدة، مطبعة جامعة القاهرة و الكتاب الجامعي، القاهرة، 1992م.

[35] صفي الدين الحنبلي، عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي، (ت 739هـ/ 1339م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، 3 ج ، الناشر: دار الجيل، بيروت، ط 1، 1412هـ.

[36] ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي، (ت 463هـ/ 1071م)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، 4 ج ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل، بيروت ، ط 1، (1412هـ/ 1992م).

[37] عبد الرزاق، خالد، النشاط التجاري في مكة المكرمة قبل الإسلام ، مجلة مداد الآداب، العدد 15، (ص 344 – 372).

[38] عبد الوهاب، يحيى لطيف، العرب في العصور القديمة " مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام "، ط 2 ، بيروت، 1979 .

[39] علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 7 ج ، ط 2 ، جامعة بغداد، 1413هـ/ 1993م.

[40] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، ت (276هـ/)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة، ط 2 ، 1992 م.

[41] قيس حاتم هاني الجنابي، الصلات التجارية بين شبه جزيرة العرب والصين قبل الإسلام، دراسة تاريخية.

[42] الكبيسي، حمدان عبد المجيد، أسواق العرب التجارية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1978م.

[43] الكبيسي، حمدان عبد المجيد ، أسواق العرب قبل الإسلام ، مجلة آداب المستنصرية، العدد 4 ، العراق، (1399هـ/ 1979م).

[44] الكتاني، محمد عبد الحي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، 2 ج ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1960م.

[45] كليب، مهيوب غالب أحمد، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر خلال الألف الأول قبل الميلاد ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 27 – العدد الأول والثاني، (ص 331 – 364) ، 2011 م.

[46] الهاشمي، رضا جواد، تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم من كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، مؤسسة الخليج، الكويت 1984 م.

[47] متز، آدم ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، جزأين، دار الكتاب العربي، بيروت ،1967 م.

[48] مروة ، حسين، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية (الجاهلية – نشأة وصدر الإسلام) المجلد الأول، دار الفارابي، بيروت، لبنان ، ط 1 ، 2002 م.

[49] المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن الأصفهاني، (ت 421هـ/ 1030م) ، الأزمنة والأمكنة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1 ، 1417هـ .

[50] مسالك القوافل التجارية في شمال وجنوب الجزيرة العربية، ندوة عالمية ثانية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، جامعة الملك سعود بالرياض، 1399هـ/ 1979م.

[51] المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت 845هـ/ 1442م) ، النقود الإسلامية المسمى شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق : محمد السيد علي بحر العلوم ، الناشر: المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف الأشرف، ط 5 ، 1967م.

[52] الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط 1 ، 1429هـ/ 2008 م.

[53] ملحس، رشدي الصالح ، الأسواق التاريخية" عكاظ ذو المجاز" ، مجلة المنهل، مجلد 10، ج 8، السنة العاشرة، شعبان (1369هـ/ 1950 م).

[54] ابن منظور، جمال الدين محمد مكرم ، ت (711هـ/ 1312 م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

[55] مهيوب غالب احمد كليب، الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب خلال الألف الأول قبل الميلاد ، مجلة جامعة دمشق، العدد 27 ،2011 م.

[56] الناظور، شحادة، مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط 1 ، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1989 م.

[57] النعيم، نورة عبد الله العلي، الوضع الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثالث ميلادي، ط 1، دار الشواف للنشر والتوزيع، الرياض، 1412هـ/ 1992م.

[58] هاشم يونس عبد الرحمن إبراهيم ، محمد علي، القافلة التجارية دراسة في النشاط الاقتصادي المكي قبل الإسلام، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، المجلد السادس ، العدد 11 ، 1433هـ/ 2012 م.

[59] ابن هشام، أبو محمد عبد الملك ابن هشام ابن أيوب الحميري ، (ت 213هـ) ، السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري، الناشر: مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط 2 ، 1955م.

[60] هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلامية ، ترجمة: كامل العسلي، عمان، 1970م.

[61]ولفنسون، إسرائيل، اليهود في بداية الحجاز، ترجمة : طه حسين ، بيروت، 1979 م.